العدد 15 تشرين2 2024
No.15 Nov 2024
المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN 2790-1254

عُملة الچاو- دراسة في اسباب تداولها في مدينة تبريز وأثارها الاقتصادية والاجتماعية

أ.د.سعاد هادي حسن الطائي
جامعة بغداد كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية /قسم التاريخ
suaadhadi9@gmail.com

الملخص

تعد دراسة تاريخ المغول من الدراسات المهمة والتي حظيت باهتمام الباحثين والمؤرخين نظرا لأهمية الاحداث السياسية والعسكرية التي شهدتها الدولة الاسلامية منذ اول ظهور لهم على الساحة السياسية ،وللانقلاب الذي شهدته القوى السياسية المعاصرة لهم ،فالحملات العسكرية التي شنها المغول على البلاد الاسلامية وغيرها اثرت بشكل كبير في تغيير معالم الخارطة السياسية للعالم اجمع ،واحدث خللاً في ميزان القوى انذاك ،فأصبحت الامبراطورية المغولية مترامية الاطراف وتوسعت حدودها شيئا فشيئا حتى انقسمت الى خانيات موزعة هنا وهناك فارضة سيطرتها على مساحات شاسعة . سلط البحث الضوء على اهم اسباب تدهور الاوضاع الاقتصادية في عموم المدن التي خضت لسلطة المغول الايلخانيين،واشرنا الى ابرز الشخصيات التي اسهمت في اقناع الايلخان كيخاتو(690-694 هـ/1291-1295م)للتعامل بهذا العملة وفي مقدمتهم الوزير صدر الدين الزنجاني(ت 697هـ/1297م) . واشار البحث الى وصف دقيق لعملة الچاو وقيمتها واسباب رفض عامة الناس للتعامل بها واهم ما واجهوه من مشاكل جراء عدم تنفيذهم لأوامر الايلخان وتردي احوالهم بشكل عام ،ولاسيما بعد هجرة عدد كبير منهم مدينة تبريز وفي مقدمتهم التجار وكبار رجال الدولة والانتقال الى مدن اخرى تتيح لهم التعامل بالعملة المعدنية القديمة، محاولين تحسين مستواهم المعاشي بعد ما تعرضوا له من نكبات اقتصادية وتضخم مالي ولاسيما بعد ان شحت الاقوات واقفلت الاسواق ابوابها ،وانتشرت الامراض ،وفُقد الامن ،واستغل اللصوص حالة الفوضى لتحقيق مآربهم.

الكلمات المفتاحية: القبيلة، الفضة، الدنانير، الدراهم، الوزير، التجار، الاسواق، ثورة.

The Chao currency - A study of the reasons for its circulation in the city - of Tabriz and its economic and social effects

Prof.Dr.Suaad Hadi Hassan Al-Taai
University of Baghdad/College of Education, Ibn Rushd For Humanities, Department of History
suaadhadi9@gmail.com

Abstract

The study of the history of the Mongols is one of the important studies that has received the attention of researchers and historians due to the importance of the political and military events witnessed by the Islamic state since their first appearance on the political scene, and the coup witnessed by the contemporary political forces. The military campaigns launched by the Mongols on Islamic countries and others had a significant impact on changing the features of the political map of the world as a whole, and caused an imbalance in the balance of power at that time. The Mongol Empire became sprawling and its borders expanded little by little until it was divided into khanates distributed here and there, imposing its control over vast areas. The research shed light on the most important reasons for the deterioration of economic conditions in all the cities that were subject to the authority of the Ilkhanate Mongols, and we pointed out the most prominent figures who contributed to convincing the Ilkhanate Kaykhatu (690-694 AH / 1291-1295 AD) to deal with this currency, most

notably the minister Sadr al-Din Zanjani (d. 697 AH / 1297 AD). The research referred to an accurate description of the Chao currency, its value, the reasons for the general public's refusal to deal with it, and the most important problems they faced as a result of their failure to implement the Ilkhan's orders and the deterioration of their conditions in general, especially after a large number of them migrated from the city of Tabriz, led by merchants and senior state officials, and moved to other cities that allowed them to deal with the old metal currency, trying to improve their standard of living after the economic disasters and financial inflation they were exposed to, especially after food became scarce, markets closed their doors, diseases spread, security was lost, and thieves exploited the state of chaos to achieve their goals.

Keywords: tribe, silver, dinars, dirhams, minister, merchants, markets, revolution.

.

المقدمة

شـهدت الدولـة المغوليـة الايلخانيـة فـي بـلاد فـارس (651-756ه/ 1253-1355م) اضـطرابات عـدة السياسية منهـا والعسكرية والاقتصـادية بسبب النزاعـات الداخليـة بين افراد الاسرة الحاكمـة فضـلاً عن الخانيات المغولية المجاورة لها ،الى جانب صراعها المرير مع المماليك في مصر ،مما انعكس سلباً على المستوى الاقتصادي للسكان في عموم البلاد التي خضعت لسلطتهم .

تعرضـت الدولـة المغوليـة فـي بـلاد فـارس الـى ازمـة اقتصـادية فـي عهـد الايلخـان كيخـاتو (690-694 هـ/1291-1295م) بسـبب اسـرافه للامـوال وتبـذيره لهـا دون وجـه حـق ،فضـلاً عـن اسـراف وزرائـه والمقربين له من رجال القصر ،وهذا الامر اثر بطبيعـة الحـال علـى المستوى المعاشـي للسكان وجعلهم يترقبون الاحداث بريبة ،وحذر.

وقع الايلخان كيخاتو تحت تأثير وزيره صدر الدين الزنجاني(ت 697هـ/1297م)ومستشاره واقترحوا عليه اصدار عملة الچاو الورقية المتداولـة فـي الصين بـدلاً مـن العمـلات المعدنيـة الفضـية والذهبيـة ،ممـا جعله يصدر امرا بضخ كميات كبيرة منها ،واجبار الناس علـى تداولها ،ممـا سبب حالـة من الفوضـى فـي مدن عدة ولاسيما بعد ان اصدر امراً بقتل كل من يحـاول التعامل بالعملـة المعدنيـة ،فأضـطر التجـار الـى الهرب من مدينة تبريز الى مدن اخرى ،واقفلوا محلاتهم واصبحت الاسواق خاليـة من البضـائع وضـج عامة الناس من سوء احوالهم فضلاً عن انتشار المجاعة والامراض .

واشـار البحـث الـى وصـف دقيق لعملـة الچـاو وقيمتهـا واسباب رفض عامـة النـاس للتعامل بهـا واهم مـا واجهوه من مشاكل جراء عدم تنفيذهم لاوامر الايلخان وتردي احوالهم بشكل عام ،ولاسيما بعد هجرة عدد كبير منهم مدينة تبريز وفي مقدمتهم التجار وكبار رجال الدولة والانتقال الى مدن اخرى تتيح لهم التعامل بالعملـة المعدنيـة القديمـة، محـاولين تحسين مستواهم المعاشـي بعد مـا تعرضـوا لـه مـن نكبـات اقتصـادية وتضخم مالي ولاسيما بعد ان شحت الاقوات واقفلت الاسواق ابوابهـا ،وانتشـرت الامـراض ،وفقد الامـن ،واستغل اللصوص حالة الفوضى لتحقيق مآربهم والتعرض للسكان وسرقة ممتلكاتهم .

وسرعان ما تغيرت الامور بعد ان امر الايلخان بألغاء عملة الچاو واعادة العملـة القديمـة محـاولا تفـادي اكبر قدر ممكن من الاضرار وتحسين المستوى الاقتصادي للسكان .

***مشكلة البحث:**أشار البحث الى مشكلات عدة منها :

1-المشكلات الناتجة عن تداول عملة الچاو في مدينة تبريز ؟

2- المشكلات الناتجة عن تردي الاوضاع الاقتصادية في مدينة نبريز ؟

***اهداف البحث:** من اهم اهداف البحث الاشارة الى الاسباب الرئيسة لتداول عملة الچاو الورقية فـي مدينـة تبريز بدلا عن العملات المعدنية والاثار الاقتصادية الناتجة عن ذلك .

***أهمية البحث :**تكمن أهمية البحث في الإشارة الى دور الوزير صدر الدين الزنجاني في اقناع الايلخان كيخاتو بالتوقف عن استخدام العملة المعدنية واستبدالها بالعملة الورقية الچاو نظراً للظروف الاقتصادية التي مرت بها الدولة الايلخانية في بلاد فارس ،والاسباب الرئيسة للتوقف عن تداولها فيما بعد.

***منهجية البحث:**اتبع البحث منهج البحث الوصفي التحليلي ، وعرض الروايات التاريخية ،ومناقشتها ،وتحليلها، ونقدها .

***اولاً:نبذه تاريخية عن عملة الچاو:**

جاء لفظ الچاو باللغة الجغتائية بالجيم الفارسية ويراد به النقود القرطاسية المعروفة لدينا بالاوراق النقدية، وتتداول بدلا عن النقود الذهبية والفضية (العزاوي،1935 ، ص404).

اللغة الجغتائية : سميت بهذا الاسم نسبةً الى جغتاي خان جنكيزخان (ت 637 هـ/1239م)، وهي لغة متفرعة من اللغة التركية القديمة -أي الأويغورية - ، وبعضهم يُسميها الألتاوية نسبةً الى جبال آلتاي الواقعة في تركستان الشرقية، وذُكر ان أصل اللغة الجغتائية شرقي ، غير ان العالم رادولف اثبت ان اللغة الجغتائية كانت تستخدم في الكتابة الفنية فقط ولا علاقة لها بأي لغة من لغات الخطاب المحلية ، وكان عالم اللغات رادولف مع هذا يرى ان هذه اللغة الأدبية نشأت بتأثير اللغة الأدبية الأويغورية القديمة ، وعُرفت هذه اللغة في عهد التيموريين ، وانتشرت أيضاً في عهد القبيلة الذهبية ، ومن أهم شعرائهم مير علي شير نوائي، ونهض الادب الجغتائي نهضة عظيمة في القرن9 هـ/ 15م ،وتخلت هذه اللغة عن مكانتها للغة الاوزبكية الحديثة (بارتولد ، دون تاريخ ، ص148،147 ؛ بارتولد ، دون تاريخ، مج5 ، ص 76 ، 79).

ومن الجدير بالذكر ان العملة التي استخدمها المغول تُسمى تنكة، وهي من النقود الفضية من فئة الدراهم، وجمعها دناكش ، والبالش (العزاوي،1935 ، ص404) ."الباليش" البالش جمعها بالشات: قيمتها خمسمائة مثقال ذهب أو فضة، وقيمة البالش من الفضة بحدود خمسة وسبعين ديناراً (الجويني، 1985 ، ص60- 61 ؛ الهمذاني، 2000 ،هامش ص 219 ؛ الشيرازي ، 1927 ، ص377). ،كان متداولاً في الصين ، وقيمته عشرة دنانير اذا كان ورقاً، وبقيمة 500 مثقال، او مئتي بالش ورقي، ويساوي الفي دينار (العزاوي،1935 ، ص404)،اما البالش الفضي فانه يساوي عشرين من البالش الورقي وقيمته مائتا دينار (العزاوي ، 1935 ، ص404)

اما عملة الچاو الورقية هي عبارة عن كاغد مستطيل الشكل عليه تمغة الايلخان عوضاً عن السكة المعدنية الدراهم والدنانير (ابن الفوطي، 1932 ،ص324؛ البدليسي ،1962 ،ص21؛ اقبال، 2000م ، ص258 ؛ العزاوي، 1935 ، ص403؛ رازي، 1916، ص311؛ فهمي، 1981،ص184)، وكُتبت في اعلاه عبارة "لا اله الا الله محمد رسول الله" بالخط العربي (الشيرازي، 1927 ،ص 272؛ البدليسي،1962 ، ص21؛العزاوي، 1935 ، ص403؛ رازي، 1916، ص311؛ فهمي،1981 ، ص184؛ بياني،2013،ص304 وص305). وبلونين ذهبي وفضي (رازي، 1916ص311)، ونُقش عليها ايضاً اسم الايلخان والقابه بالخط الاويغوري (الشيرازي، 1927 ، ص 272؛ بياني،2013، ص304 -305).

دُونت حوافها بكلمات بالخط الخطائي والشهادتين على طرفيها من الاعلى ، وتحت الشهادتين كُتبت كلمتا " ايرنجين تورجي" وهو اللقب المغولي للايلخان كيخاتو ، وفي وسطها رُسمت دائرة (البدليسي، 1962 ،ص21- 22؛اقبال ،2000 ، ص258؛ فهمي ، 1981 ،ص184؛ بلانت ،1994، ص 120) كُتب عليها العبارة الاتية: "بامر من ملك العالم في سنة 693 ه تم تداول هذه العملة الورقية المباركة في البلاد ومن يُغير فيها او يُبدل يقع تحت طائلة الياسا هو وامرأته واولاده ومصادره امواله لصالح الديوان"(البدليسي، 1962 ،ص21؛اقبال، 2000، ص258؛ فهمي، 1981،ص184)

ومن الجدير بالذكر ان الياسا هي مجموعة قوانين وضعها جنكيزخان وقررها ، رتب فيها أحكاماً وحدد فيها حدوداً سماها الياسة الكبرى ، واكتتبها وأمر أن تُكتب على صفائح من الفولاذ ، وجعله شريعة لقومه فالتزموا بها في حياته وبعد مماته (ابن كثير ، 1987، ص138- 139؛ ابن خلدون، 1988 ، ص526- 527؛ القلقشندي، دون تاريخ ، ص310 – 311).

وتألفت عملة الچاو من فئات 10 دنانير الى دون ذلك حتى ينتهي الى درهم وربع (ابن الفوطي،1932 ،ص324؛ اقبال ، 2000 ، ص258؛ فهمي،1981،ص184).ورُسمت دائرة على الورقة التي تبلغ قيمتها بين نصف درهم وعشر دراهم (البدليسي، 1962 ،ص22)،ورُسمت دائرة على الورقة التي تبلغ قيمتها بين نصف درهم وعشر دراهم (البدليسي، 1962 ،ص21؛الصياد ،1967 ، ص68).

***ثانياً :اسباب تدهور الاوضاع الاقتصادية في بلاد فارس في عهد الايلخان كيخاتو:**

من اهم اسباب تداول عملة الچاو الورقية هو العجز المالي الذي تعرضت له الدولة الايلخانية في عهد الايلخان كيخاتو .

فبعد ان اطمأن الايلخان كيخاتو الى وزيره صدر الدين الزنجاني ومنحه الصلاحيات الواسعة وعكف هو على الاستمتاع بحياته ،واسرافه في صرف الاموال في الانعام على الاشراف والاعيان، تشبه وزيره به في البذخ والسخاء (البدليسي،1962 ،ص21؛ فهمي، 1981،ص183).

انفق الزنجاني اموال الدولة في استمالة قلوب الناس اليه ولاسيما من طبقتي الزهاد والعباد وفي وجوه البر والاحسان (بياني، 2013 ، ص307)،ولهذا حاول العديد من الامراء المغول أقصائه عن منصبه نظراً لسياسته في الاسراف والتبذير، غير انهم فشلوا في مساعيهم هذه نظراً لما يتمتع به من قدرات كبيرة ومكانة مهمة عند الايلخان (اقبال ،2000 ، ص257).

ومما زاد من الامر سوءاً انه لم تكن في خزانة الدولة اموال تكفي لمساعدة كبار الامراء لتدارك الامر، مما ادى الى زيادة فقر المغول وتدهور اوضاع الجيش، وبلغ مقدار العوائد السنوية للخزانة في عهد الوزير صدر جهان والايلخان كيخاتو 1800 تومان، وبلغت نسبة الانفاق منها 700 على نفقات الديوان ورواتب موظفيه، اما الباقي فلم يكف لتغطية نفقات البلاط المغولي فضلاً عن نفقات الايلخان، وبلغت نفقات الطعام ومطبخ الامراء والخواتين في عهده 165 تومان، وعلى الرغم من ذلك بدأوا يتذمرون ولم يكتفوا بها (اقبال،2000 ،ص257؛ الصياد ، 1967 ، ص68؛ طقوش ، 2007 ، ص258).

لهذا اضطر الوزير صدر الدين الزنجاني، وبعد مرور سنتين على توليه لمنصب الوزارة الى اقتراض ما يقارب من 500 تومان أي ما يقارب عشرة الاف قطعة ذهبية من الدنانير لغرض سد متطلبات احتياجات الدولة (اقبال،2000 ،ص257؛ طقوش،2007، ص258).مما يدل على عجز خزينة الدولة عن تلبية اهم متطلبات مؤسساتها .

ومما زاد من الامر سوءاً هو انتشار الوباء بين الماشية فمات معظمها ولاسيما في ديار بكر، والموصل، وبغداد، وخراسان، وشكلت هذه الماشية مورداً مهماً لخزينة الدولة الايلخانية (طقوش، 2007 ، ص258).

احدثت هذه الازمة الاقتصادية عجزاً كبيراً في تأمين الميزانية اللازمة لسد نفقات الجيش ، واثر هذا الامر بشكل سلبي في امكانيات المغول وسياستهم العسكرية الخارجية ، لهذا فشلوا في صد خطر المماليك لمرات عدة (اقبال ، 1989، ص455؛ اقبال، 2000 ،ص257؛ طقوش، 2007 ، ص258).وهذا كان له اثر كبير في اضعاف القوة العسكرية للدولة الايلخانية وكان سبباً رئيساً لعدم قدرتهم على مواجهة الاخطار المحدقة بهم.

وذُكر انه من شدة تفاقم هذه الازمة المالية، عجز المطبخ الايلخاني عن تأمين خروف واحد من اجل اعداد الطعام، مما جعل الوزير الزنجاني يستعين بأحد المقربين اليه ومن المتعهدين لتأمين المطبخ الايلخاني، وهو رشيد الدين اليهودي، غير انه عجز هو الاخر عن الاستمرار طويلاً في تأمين ما يتوجب عليه من الاموال، فاضطر الى الاستدانة على امل ان يسترد ما انفقه من خزانة الدولة، التي اصبحت خاوية ، فوجد نفسه عاجزاً عن تسديد ديونه، فهرب من دائنيه (البدليسي، 1962 ،ص21؛ اقبال ، 1989، ص455؛ اقبال،2000، ص257؛ بياني، 2013، ص304؛ الصياد، 1967 ، ص68؛ فهمي،1981 ،ص184؛ طقوش،2007 ، ص258).

***ثالثاً : تداول عملة الچاو في مدينة تبريز:**

نظراً لتردي الاوضاع الاقتصادية اقترح المستشار المالي للوزير صدر الدين الزنجاني المدعو عز الدين مظفر بن محمد بن عميد اتباع النظام النقدي المتداول في الصين، والذي يستند على العملة الورقية

الچاو ، والتعامل بها بدلاً عن الذهب والفضة، فتستقيم الاوضاع الاقتصادية العامة وملأ خزانة الدولة بالاموال بهما ويكون ذلك عماداً للدولة ورصيداً لها (البدليسي،1962 ،ص21؛الصياد ، 1967 ، ص69؛ فهمي، 1981،ص184؛طقوش،2007 ، ص258).

وافق الوزير صدر الدين الزنجاني على هذا المقترح (الهمذاني، دون تاريخ، ص182)، اذ رغب ان يبتكر شيئاً جديداً في البلاد، لم يكن الاخرون اهتدوا اليه، فلا غرو ان يبذل جهوداً كبيرة في هذا السبيل (البدليسي،1962 ،ص21)، ومن الجدير بالذكر ان صدر الدين اقترض وقتئذ أكثر من خمسمائة تومان ،وازداد دينه يوماً بعد اخر (العزاوي ،1967 ، ص403) ،وبذلك يكون هذا الوزير اسهم بشكل كبير في تداول هذه العملة (الهمذاني، دون تاريخ ، ص181؛ فهمي،1981 ،ص184).

وعرض هذا الامر على عدد من الامراء المغول، فوافقوا على هذا المقترح وبدأوا يتباحثون ويفكرون في وسائل اعدادها وتداولها في هذه البلاد (الهمذاني، دون تاريخ ، ص181؛ البدليسي،1962 ،ص21 ؛فهمي ،1981،ص184)،ثم عرض هذا الامر على الايلخان كيخاتو فاستفسر عن حقيقة ذلك من بولا جينكسن نكك (الهمذاني، 2000 ، ص181).

فاجابه قائلا: "ان الچاو عبارة عن قرطاس مختوم بخاتم الملك، يتعامل به في جميع بلاد الخطا بدلاً من الدراهم. واما عملتهم النقدية فهي "البالش"- السبائك- التي تصل الى الخزانة العامرة" (الهمذاني، دون تاريخ ، ص182؛ طقوش،2007، ص258)،فاقتنع الايلخان بهذه الفكرة؛ لحبه للاموال ولسخائه المفرط، فهو يهب الاموال بلا حدود (الهمذاني، دون تاريخ ،ص182؛ اقبال، 2000 ، ص257).

غير ان شيكتور نويان الذي امتاز بحصافة عقله، وذكائه وخبرته، اوضح ان الجاو سوف يكون سبباً في خراب اقتصاد البلاد، مما يؤدي الى الاساءة الى سياسة الايلخان الداخلية، واختلال مصالح عامة الناس، فضلاً عن التقصير في تلبية متطلبات الجيش (الهمذاني، دون تاريخ ، ص92).

غير ان الوزير صدر الدين الزنجاني خاطب الايلخان قائلاً: "ان شيكتور نويان يحب الذهب حباً جماً، ولذلك فهو يعمل على افساد خطة التعامل بالچاو " (الهمذاني، دون تاريخ ، ص182؛ ابن الفوطي، 1932 ،ص324؛ البناكتي، 2007 ،ص477؛ الشيرازي، 1927 ،ص145- 146؛ البدليسي،1962 ،ص21؛اقبال، 1989، ص455؛ اقبال،2000 ،ص258؛ العزاوي، 1967 ، ص403؛ الصياد ، دون تاريخ ، ص69 ؛ رازي ،1916، ص311؛ فهمي،1981 ،ص184؛ طقوش،2007 ، ص258-259)،ولم يكترث الايلخان بنصيحة شيكتور نويان بل استحسن مشورة وزيره الزنجاني وامر بتنفيذها.

فاصدر الايلخان قانوناً في سنة 693هـ/ 1293م اجاز بموجبه التعامل بالعملة الورقية الچاو على غرار ما كان متبعاً في الصين، واجبر الناس على التعامل بها، وامر أيضاً ببناء دور الضرب في المدن الكبرى في كافة انحاء الايلخانية واطلق عليها اسم" چاو خانه" (العزاوي، 1967 ، ص43)، وعينوا لها الموظفين (الشيرازي، 1927 ، ص144؛ فهمي،1981، ص184)،واطلق عليها " چاو مبارك" (البدليسي ،1962 ،ص21)،وانفقوا عليها مبالغ طائلة وعلى من يعمل بها من الرجال(الهمذاني، دون تاريخ ، ص182؛ البناكتي، 2007 ،ص477).

وسار الامراء آقبوقا، و طغاجار، وصدر الدين، وتماجي ايناق، الى تبريز للعمل على ترويج عملة الچاو فيها، فعملوا على نشر مرسوم الايلخان فيها وبدأوا بتوفير كميات كبيرة منها (الهمذاني، دون تاريخ، ص182؛ البدليسي، 1962 ،ص21).

وبموجب ذلك منع الايلخان من التعامل بالذهب والفضة (البدليسي، 1962 ،ص21؛اقبال، 2000 ،ص258؛ طقوش، 2007، ص259)، واوقف كل الاعمال التي تحتاج الى استهلاك كميات كبيرة من الذهب والفضة، مثل نسج الاقمشة المقصبة، باستثناء ما يخص الايلخان والامراء، وصناعة الاواني الذهبية والفضية، وعوض على ارباب هذه الحرف من الچاو (طقوش، 2007 ، ص259)،وامر بصرف مرتبات الحكام والموظفين منها (الهمذاني، دون تاريخ ، ص128؛ اقبال،2000 ،ص258؛ فهمي،1981، ص184).

فانتشرت عملة الچاو في مدينة تبريز في حدود سنة 693هـ/ 1293م (الهمذاني،دون تاريخ ص182؛ اقبال،2000 ،ص258)، وصدرت الاوامر من الايلخان كيخاتو بقتل كل من لا يتعامل بها (اقبال،2000 ،ص258؛ العزاوي، 1967 ، ص403).

وشجع عدد كبير من الشعراء الناس بتداولها، و جعلوا منها فاتحة خير وسعادة (البدليسي،1962 ،ص22)، ثم انشدوا بعض القصائد لأرضاء الايلخان ولكسب عطفه (البدليسي،1962 ،ص22)،ومن اهم ما انشدوه الاتي: (رازي، 1916، ص311) :

اذا سار الچاو في المعاملات فأنه يضفي البهاء على الملك الخالد

واصبحت مدينة تبريز مغلقة لا يستطيع احد دخولها الا من يتعامل بعملة الچاو ، وبيعت كميات كبيرة منها للوافدين اليها (البدليسي،1962 ،ص22).

***رابعاً :الاثار الاقتصادية والاجتماعية لعملة الچاو:**

كان لتداول عملة الچاو في مدينة تبريز اثار اقتصادية وأجتماعية اثرت بشكل كبير في المستوى المعاشي للسكان .

عندما شاع خبر التعامل بالچاو بين الناس في مدينة تبريز انتابهم القلق(اقبال، 1989، ص455؛ طقوش، 2007، ص259)،واثار تداولها الفوضى في البلاد، اذ رفض عامة الناس التعامل بها ولاسيما التجار واصحاب المهن (الصياد ، دون تاريخ ، ص69؛ فهمي،1981،ص184)،وفشل التعامل بها؛ لان الناس لم يعتادوا على استعمالها (الهمذاني، دون تاريخ، ص182؛ اقبال،2000 ،ص259؛ طقوش،2007 ، ص259)، واضطر سكان تبريز الى استعمالها في البيع والشراء لمدة اسبوع واحد خشيةً من تعرضهم الى القتل والتنكيل (الهمذاني، دون تاريخ، ص182؛ اقبال،1989، ص455؛ اقبال،2000 ،ص259؛ فهمي،1981 ،ص184؛ طقوش، 2007 ، ص259)

غير انهم سرعان ما توقفوا عن استخدامها لمدة من الزمن، حتى اجبروا على تداولها، فاضطر عدد منهم الى مغادرة المدينة، تجنباً لما يلحق بهم من اضرار وخسائر مادية (اقبال، 1990، ص455؛ اقبال،2000 ، ص259)،واقفل معظم التجار محلاتهم (الصياد، 1967 ، ص69؛ فهمي، 1981 ،ص184)، وساد الكساد معظم البضائع التجارية وندرت الاقوات (الهمذاني،2000، ص182- 183؛ اقبال،2000 ، ص259)

واشار الهمذاني الى ان عدداً منهم اضطر الى مغادرة المدن واللجوء الى الحدائق والبساتين لتناول الفواكه (العزاوي،1935 ، ص404) وهذا يؤكد معاناتهم من الجوع والعوز، واثر هذا الامر بشكل سلبي على سير الحياة الاقتصادية في البلاد (طقوش، 2007 ، ص259) ، فاختفت السلع من الأسواق، وتوقفت المعاملات التجارية، وشعر عامة الناس بانهم يتعرضون لمحنة قاسية (الهمذاني، 2000، ص182- 183؛ اقبال، 2000 ، ص259) واختفت السلع المهمة من الاسواق مثل الأقمشة والاغذية (الهمذاني2000، ص183) ،فاصبحت مدينة تبريز خالية من الناس بعد ان كانت تعج بهم (الهمذاني، دون تاريخ، ص183).

واشار ابن الفوطي الى استعمال عملة الچاو قائلا:"اظهر " الچاو " وقسر الناس على المعاملة به فاضر بهم وبطلت معايشتهم وتعطلت امورهم ....." (ابن الفوطي، 1932 ، ص334).

واكد ابن الفوطي ان سبب تدهور الأوضاع في مدينة تبريز هو نتيجة التعامل بهذه العملة قائلاً: " فتعامل به اهل تبريز اضطراراً لا اختياراً بالقسر والقهر، فاضطربت احوالهم اضطراباً اضر بهم وبغيرهم حتى تعذرت الاقوات وسائر الاشياء وانقطعت المواد من كل نوع، فكان الرجل يضع الدرهم في يده تحت الچاو ويعطي الخباز والقصاب وغيرهما، ويأخذ حاجته، خوفاً من اعوان السلطان" (ابن الفوطي، 1932 ، ص324- 325)

اما البدليسي فعلق على ذلك قائلاً:" ان عملة الچاو هذه نفذت في ...تبريز واضطر اهل السوق بضعة ايام للتعامل بها في البيع والشراء .ثم نفذ صبر طائفة من اهالي تبريز على تحمل هذا الضرر اللاحق بهم، فآثرت الرحيل على الاقامة ،وطائفة اخرى ،ولو انها كانت تفتح دكاكينها خوفا من سطوة الحكومة ورجاله ،الا انها كانت تخفي السلع والامتعة ولا تظهرها " (البدليسي ، 1962،ص22).

فاضطر عامة الناس وبالقهر والقسر باستخدام فئات عشرة دنانير الى درهم ونصف وربع (العزاوي، 1935، ص403- 404) .وهذا الامر لم يقتصر على مدينة تبريز فقط بل في عموم المدن الكبرى التابعة لايلخانية المغول (طقوش، 2007 ، ص259)، واستغل اللصوص وقطاع الطرق هذه الفوضى الاقتصادية، فبدأوا سلب كل ما يصادفهم في الشوارع والازقة (الهمذاني،2000 ،ص183؛ طقوش،

2007 ، ص259) ،وهذا الامر منع وصول القوافل التجارية اليها، التي تحمل المواد الاستهلاكية الضرورية اليها (الهمذاني، 2000 ، ص183 ؛ العزاوي، 1935 ، ص404).

واستغل اللصوص هذه الفوضى وبدأوا يكمنون في مفترق الطرق، فاذا حصل مسكين على الغلال، او سلة من الفواكه بشق الانفس وبلطائف الحيل لكي يحملها الى داره، فانهم يغتصبونها منه (الهمذاني، دون تاريخ، ص183؛ اقبال، 2000 ،ص259). واذا رفض اعطائهم ما يريدون منه قائلين: " بع لنا هذه الاشياء، وتسلم ثمنها هذا الچاو المبارك، وبين لنا من اين اشتريتها" (الهمذاني، دون تاريخ، ص183؛ اقبال، 2000 ، ص259).

فضج الناس بالشكوى من منفذي فكرة تداول عملة الچاو ، وقرروا التخلص منهم وفي مقدمتهم عز الدين مظفر، الذي اسرع بالهرب مع اعوانه(فهمي،1981 ،ص185؛طقوش،2007، ص259).وادرك الايلخان كيخاتو معاناة الناس بسبب تداول هذه العملة خلال زيارته لاحد الاسواق، عندما رأى الحوانيت مغلقة (الهمذاني، دون تاريخ، ص183؛ اقبال، 2000 ، ص259)،فسأل عن السبب فأجابه الوزير صدر الدين قائلاً: " توفى زعيم تبريز شرف الدين اللاكوشي، وقد اعتاد اهل تبريز ان يتركوا السوق، لعزاء عظمائهم" (الهمذاني، 2000، ص183؛ البدليسي،1962 ،ص22؛ اقبال، 2000 ، ص259)

ونظراً لتردي هذه الأوضاع ثار الناس ضد قطب الدين في مسجد المدينة في يوم الجمعة للسماح لهم بالتعامل بالعملة السابقة، وبدأوا يبيعون الأطعمة في الأزقة بالذهب، فقتلوا عدداً من عامة الناس لهذا السبب توقفت المعاملات والوثائق توقفا نهائياً (الهمذاني، دون تاريخ، ص183؛ اقبال، 2000 ، ص259).وهذا يدل على تذمرهم من استخدامها على الرغم من كل ما اتبعته الدولة من اساليب لتشجيعهم على تداولها، فلم يجدوا ما يقوم مقام الذهب الاحمر ولا الفضة البيضاء (العزاوي، 1935 ، ص403).

وذكر الهمذاني انه ذات يوم اخذ رجل فقير في السوق بعنان فرس الوزير صدر الدين وقال له: " ان رائحة الكبد المحترق قد ملأت العالم، فأن لم تشمها فبئست انفك" (الهمذاني،دون تاريخ، ص183؛ اقبال، 2000 ، ص259- 260).

وفي اثر ذلك اصدر الوزير صدر الدين اوامره بالاتفاق مع عدد من الامراء يبيح بموجبه شراء الاطعمة بالنقود، فتجرأ عامة الناس لهذا السبب، وبدأوا يتعاملون بالنقود بشكل علني (الهمذاني، دون تاريخ، ص184؛ اقبال،2000 ، ص260).

وصدرت الاوامر بتداول عملة الچاو في مدينة بغداد ايضاً،وحُملت كميات كبيرة منها اليها ،وتولى مسؤولية ذلك الامير لكزي بن ارغون آغا، فلما وصلت اخبار ذلك الى اهلها قاموا بتخزين المواد الغذائية الضرورية ولاسيما بعد ان وصلتهم الاخبار بما حدث بسبب تداولها في مدينة تبريز (ابن الفوطي، 1932 ،ص325؛ العزاوي، 1935، ص405) ،فضج الناس بالشكوى من الايلخان نفسه ومن وزيره الزنجاني (فهمي، 1981،ص183)،ورفعت شكاوهم اليهما، وصرحوا امامهما انه اذا استمر الحال على ما هو عليه فانه سوف تسوء الاوضاع اكثر من قبل، وستتحول هذ الفوضى الى ثورة عارمة يمكن ان تطيح بالحكم المغولي، وتقضي على دولتهم في بلاد فارس (الصياد ،1967 ، ص69 ؛ طقوش،2007 ، ص259).

واشار البدليسي الى ذلك قائلاً:" فاضطر الامراء والقواد،مع صدر جهان الى رفع الى السدة السلطانية قائلين ان سريان الچاو في السوق ،يؤدي الى خراب البلاد وتبلبل الافكار وضياع الثروات وتشتت الرعايا في الاطراف وتفرقهم في البلاد واذا استمرت هذه البدعة مدة اخرى فأن الشر يتفاقم ويعم البلاد كلها" (البدليسي،1962 ،ص22)، ووصلت انباء اضطراب أحوال الناس في بغداد الى الايلخان كيخاتو فأمر بابطالها، فألغيت قبل وصول الامير لكزي اليها، والعودة الى النظام النقدي القديم (ابن الفوطي، 1932 ، ص334؛ البناكتي، 2007،ص477؛ البدليسي،1962 ،ص22؛اقبال، 1989، ص455؛ اقبال، 2000، ص259؛ بياني، 2013 ، ص304؛ الصياد، 1967، ص69؛ فهمي، 1981،ص184؛ طقوش،2007 ، ص226).

ونظراً لهذه الاجراءات هدأ الناس، وعُمرت الاسواق، وتيسرت الاقوات ، وعاد الناس جميعهم (الهمذاني ، دون تاريخ ، ص184؛ طقوش،2007 ، ص260)، ولهذا فشل التعامل بعملة الچاو ولم يحل المشاكل الاقتصادية للبلاد وبقيت الخزانة خالية (الهمذاني، دون تاريخ، ص184؛ اقبال، 1989، ص455).وذُكر

ان الاهالي اطلقوا على الوزير صدر الدين كلمة" چاو بان" لأنه اسهم في اصدار هذه العملة (فهمي،1981 ،ص185)،وتغير اسم العملة من " چاو مبارك" الى "چاونا مبارك" أي" العملة المشئومة " (فهمي،1981 ،ص185).

نلحظ ان تداول عملة الچاو في مدينة تبريز لم يكن امراُ سهلاُ بل سبب مشكلات عدة اقتصادية واجتماعية بسبب رفض التجار استخدامها وفضلوا استخدام العملة النقدية المعدنية بسبب قيمتها مقارنة بعملة الچاو الورقية .

وارى ان هذه الازمة لم تكن موجودة اصلاُ وان الوزير صدر الدين الزنجاني هو من افتعلها ليحصل على اكبر كمية من الذهب والفضة وليكون اكثر ثراء من غيره ،ولأنه اراد ربما اثارة الفوضى في البلاد وليُحمل الايلخان مسؤولية ذلك وللاطاحة به ولأضعافه ،ويجعله في حاجة دائمة لمساعدته.

***الخاتمة:**

تمخضت عن هذه الدراسة جملة من النتائج المهمة من اهمها:

1-ان من اهم اسباب تدهور الاوضاع الاقتصادية في عموم الدولة الايلخانية في عهد الايلخان كيخاتو هو الاسراف في الاموال بغير وجه حق ومنح الامتيازات والعطايا لمن لا يستحقها وبدون مبرر لها ولاسيما لحاشية الايلخان والمقربين منه ووزرائه .

2-تمكن الوزير صدر الدين الزنجاني من اقناع الايلخان كيخاتو بالتعامل بعملة الچاو الورقية على غرار ما موجود في الصين بدلاُ من استخدام العملة المعدنية التي تستنزف كثيرا من ثروات البلاد وخزينة الدولة .

3-امر أيضاً ببناء دور الضرب في المدن الكبرى في كافة انحاء الايلخانية واطلق عليها اسم" چاو خانه"

4-اتبع الايلخان كيخاتو سياسة الاجبار في التعامل بهذه العملة وقتل من لا يستخدمها ولاسيما من التجار مما خلق حالة من الذعر والهلع لدى الجميع فأضطروا الى ترك مدنهم الهجرة الى مدن اخرى لممارسة نشاطهم التجاري بأمان

5-انتشار المجاعة الامراض والفقر بشكل كبير فضلا عن استغلال اللصوص حالة الفوضى والتعدي على السكان في الطرقات وسرقة اموالهم واقواتهم.

6- اطلق السكان على الوزير صدر الدين كلمة" چاو بان" لأنه اسهم في اصدار هذه العملة.

7- امر الايلخان كيخاتو بألغاء التعامل بعملة الجاو بسبب الارباك الذي تعرضت له الدولة ولاسيما بعد ان ادرك ان هناك مؤامرة تدبر ضده للاطاحة به ،وتيقن ان الثورة ضده سوف تندلع ان لم يجد حلاُ ناجعا له.

وهذه نماذج لعملة الچاو الصينية الورقية اذ لم اتمكن من العثور على صورة من عملة الچاو المغولية التي أُستخدمت في بلاد فارس في عهد الايلخان كيخاتو ويبدو انهما متشابهتان في الشكل والقيمة الاقتصادية

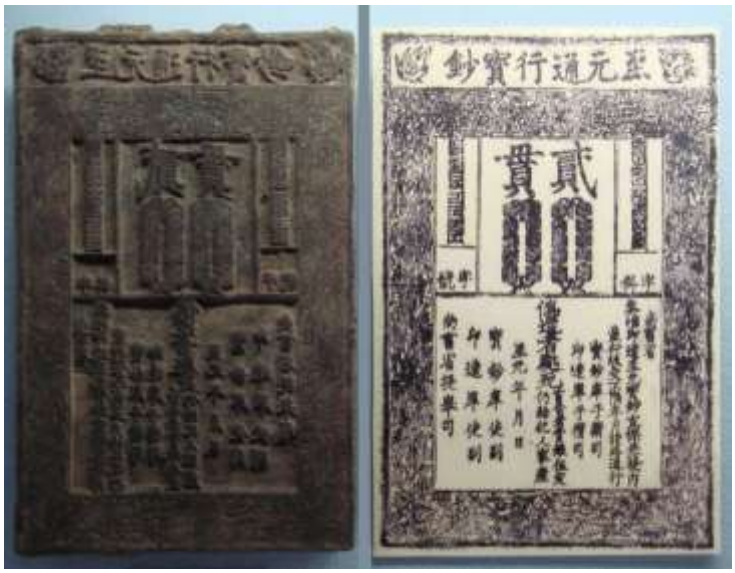

صورة لعملة الچاو الصينية

https://ar.asayamind.com/meet-kublai-khan-mongol-ruler-who-invented-trebuchet

This is a 300 cash 'Baochao' banknote of Ming Dynasty emperor Hong Wu, dated 1358 AD.صورة لعملة الچاو الورقية
https://www.pinterest.com/pin/325807354264703896

Guàn (貫) - Da Ming Tongxing Baochao (大明通行寶鈔
صورة لعملة الچاو الورقية
https://commons.wikimedia.org/wiki/File:1_Gu%C3%A0n_(%E8%B2%AB)_-_Da_Ming_Tongxing_Baochao_(%E5%A4%A7%E6%98%8E%E9%80%9A%(E8%A1%8C%E5%AF%B6%E9%88%94)_Auction_World_03.jpg

المصادر والمراجع

1- اقبال، عباس ،(2000)، تاريخ المغول منذ حملة جنكيزخان حتى قيام الدولة التيمورية ،ترجمة د:عبد الوهاب علوب، المجمع الثقافي، ابو ظبي، الامارات العربية المتحدة .
2-..... ،(1989) ،تاريخ ايران بعد الاسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية (205ه -820م/1343ه - 1925م) نقله عن الفارسية: د. محمد علاء الدين منصور راجعه: أ. د السباعي محمد السباعي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة .
3- بارتولد، فاسيلي فلاديميروفتش،(دون تاريخ)، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة : د.أحمد سعيد سليمان، راجعه : ابراهيم صبري ،مكتبة الانجلو المصرية ، مصر .
4- ..... ،(دون تاريخ)،الأدب الجغتائي ، دائرة المعارف الإسلامية ، يصدرها باللغة العربية: احمد الشنتناوي وابراهيم زكي، ود. عبد الحميد يونس، يراجعها من قبل وزارة المعارف: د. محمد مهدي علام ،مصر.
5-البدليسي،شرف خان،(1962)،شرفنامة، ترجمة إلى العربية: محمد علي عوني، نشر: دار الكتب العربية، القاهرة ،مصر .
6- بلانت، ريتشارد ،(1994)،النقود العربية والاسلامية،تعريب د.بسام سروج،ايراهيم سروج ،منشورات مكتبة السائح،ط1 ،سوريا .
7-بياني، شيرين،(2013)،المغول التركيبة الدينية والسياسية،ترجمه عن الفارسية :سيف علي،راجعه وقدم له: د.نصير الكعبي، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ،الناشر المركز الاكاديمي للابحاث، بيروت .
8- البناكتي،ابو سليمان ، (2007)،روضة اولي الالباب في معرفة التواريخ والانساب،ترجمة وتقديم :محمود عبد الكريم علي،المركز القومي للترجمة ،ط1،القاهرة .
9-الجويني ،علاء الدين عطا ملك ،(1985)، تاريخ جهانكشاي ، نقله عن الفارسية وقارنه بالنسخة الانكليزية : د. محمد التونجي ، دار الملاح للطباعة والنشر .
10-ابن خلدون ،عبد الرحمن،(1988)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، ضبط المتن فيها ووضع حواشيها وفهارسها : الاستاذ : خليل شحادة ، مراجعة : د. سهيل زكار،ط2 ، دار الفكر .
11- رازي،عبد الله ،(1916)، تاريخ مفصل ايران از- تأسيس ماد تاعصر حاضر، از انتشارات : شركت نسبي حاج محمد حسين اقبال وشركاه ، تهران .
12-الشيرازي، اديب شرف الدين ،(1927)، تاريخ وصاف الحضرة، تحرير: عبد المحمد آيتي ، انتشارات بيناد فرسك ايران .
13- الصياد، فؤاد عبد المعطي ،(1967)، مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذاني، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر،ط1، القاهرة .
14- طقوش ، محمد سهيل،(2007)،تاريخ المغول العظام والايلخانيين (602-772هـ/ 1206-1370م)، (651- 756هـ)/ 1253- 1355م)، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ،ط1، بيروت .
15-العزاوي، عباس،(1935)،تاريخ العراق بين احتلالين – حكومة المغول 656-738هـ/ 1258-1338م،ط1، مطبعة بغداد .
16-فهمي ،عبد السلام عبد العزيز ،(1981)،تاريخ الدولة المغولية في ايران ، دار المعارف ، القاهرة .

17-ابن الفوطي، كمال الدين ابو الفضل ،(1932)،الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ، وقف على تصحيحه والتعليق عليه: الاستاذ مصطفى جواد،عنيت بطبعه المكتبة العربية،بغداد،مطبعة الفرات، بغداد .
18- القلقشندي، أحمد بن علي ،(دون تاريخ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، مطابع كوستاتسوماس وشركاه ، القاهرة .
19-ابن كثير، عماد الدين أبو الفدا ،(1988)،البداية والنهاية في التاريخ، تح: علي شيري، نشر: دار إحياء التراث،ط1، بيروت .
20- الهمذاني، رشيد الدين فضل الله ،(دون تاريخ)، جامع التواريخ، ترجمة:محمد صادق نشأت، محمد موسى هنداوي وفؤاد عبد المعطي الصياد، راجعه وقدم له: يحيى الخشاب، دار أحياء الكتب العربية،القاهرة .
21- ..... ،(2000)، تاريخ غازان خان دراسة ،وترجمة: د. فؤاد عبد المعطي الصياد، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، دار النصر للطباعة الاسلامية،ط1، القاهرة .

***شبكة الانترنت**

1- https://ar.asayamind.com/meet-kublai-khan-mongol-ruler-who-invented-trebuchet

2- https://www.pinterest.com/pin/325807354264703896

3- (https://commons.wikimedia.org/wiki/File:1_Gu%C3%A0n_(%E8%B2%AB)_-_Da_Ming_Tongxing_Baochao_(%E5%A4%A7%E6%98%8E%E9%80%9A%E8%A1%8C%E5%AF%B6%E9%88%94)_Auction_World_03.jpg